



درافون

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

فخرى إبراهيم

العدد (5274) السنة العشرون

- الخميس (29) أيلول 2022

وحيدة خليل

وحيدة خليل

عذوبة الصوت وجمال الأداء

حيدر شاكر



ونحن نكتب عن مطربات العراق ومبدعاته من الرعيل الثاني نقف عند صوت ملأه الجمال والحنان والأداء المميز قد تختلف هذه الفنانة عن زميلاتنا من حيث الأسلوب الغنائي الذي اجتمعت من خلاله صفتين الأولى ريفي والأخرى بغدادية ، فبرغم بداياتها وميولها بعالم الغناء كانت تقلد وتردد لأصوات عربية كبيرة أمثال أم كلثوم وليلى مراد وأسماء أخرى إلا أنها تأثرت بالملاهي وما يمتلك من أصوات معبرة أثناء أدائها الطقوس الدينية ومجالس العزاء فحفظت ذلك الأسلوب الباكي الملائم لحنجرتها الحزينة هنالك شيء مهم تعلمته هذه الفنانة من خلال فرق الخشابة البصرية الشعبية والتي كانت هذه الفرق من النساء اللواتي يجيدن الضرب على الخشبة .



فما كان من وحيدة خليل إلا أن تكون عازفة لألة إيقاعية ترافقها أثناء الغناء الذي تأثرت به قبل أن تصبح مطربة ريفية تنتقي اطوار الريف كالعراقي والعنيسي والحيواوي وحسب ما ذكرته المصادر وما تذكره وحيدة في إحدى اللقاءات إنها تأثرت بغناء مطرب الريف جويسم حينما التقت به بإحدى الحفلات وتذكر وحيدة أن للمطرب الريفي داخل حسن دور مهم بحياتها بل هو من ساعدها بمسيرتها الفنية .

إن مريم عبد الله جمعه هو الاسم الحقيقي لهذه الفنانة التي تضاربت تواريخ ولادتها وربما كانت ولادتها في العقد الثاني من القرن العشرين أو نهاية العقد الثالث إلا أن العقد الأربعيني شهد مغادرتها من البصرة إلى بغداد التي كانت على موعد مع نجمة من نجوم الغناء العراقي حيث كانت ملاهي بغداد وبيوتها أماكن لشهرة هذه الإنسانية المبدعة حقاً كونها استطاعت أن تسرق الأضواء من خلال روائع الألحان التي صاغ جمالها ملحنون كبار أمثال عباس جميل ومحمد نوشي وناظم نعيم إضافة لروحي الخماش ومحمد عبد المحسنم وجود شعراء الأغنية البغدادية أمثال جبوري النجار وأبراهيم وفي وسيف الدين ولائي وآخرون ..

هذه الفنانة من يستمتع لأغانيتها يدرك أنها كانت تعبر عن حبها للوطن ولألم وللحب وللزمن الذي

عاصرته لتظل أغانيها حقاً قصصاً تقرأ من قبل الأجيال المحبة المبدعة لجمال الأغنية العراقية . الحديث عن هذه الفنانة المبدعة يجعلنا نقف عن مدى ما تحمله من ثقافة فكانت لها محاولات العزف على آلة العود من خلال الراحل الموسيقار جميل بشير الذي كان معجب بصوتها وشخصيتها حيث قام بتدريسها العزف لآلة العود ..

يبدو أن وحيدة خليل كانت تدرك أن الألام والمعاناة التي مرت بحياتها لابد أن تترجم إلى أغاني ذات مضامين ومعاني على سبيل المثال أغنية غريبه وأنه بين أهلي ربما كانت تنتمي لتلك البيئة الجنوبية بمدينتها البصرة حيث الذكريات والثقافة وكل ما هو جميل بحياتها .

هل لنا أن لا نستذكر تلك الروائع الغنائية المعبرة عن حب الأم وهي تقدم من الحان عباس جميل وماني صحت يمه أجا جا وين أهله او على بالي ابد ماكان فركاك في كل أغنية موضوع يبدو انها عانت منه ومن مرارته .

استطاعت وحيدة خليل أن تظل مميزة حتى أعداد هذه السطور فقد وثقت الكثير من أغانيها ومن خلال شركات التسجيل ومن خلال الإذاعة العراقية والتلفزيون ومن خلال صوتها المعبر سافرت إلى خارج الوطن لتحيي حفلات للجاليات العراقية بالولايات المتحدة الأمريكية وبعض من

الدول العربية إلا أنها تدرك تماماً أنها ظلمت من قبل الإعلام والدولة مقارنة بزميلاتنا . الجميل بمسيرة هذه الفنانة طموحاتها فكما ذكرت لم تكني بالغناء فقط بل كانت لها مساهمة بعالم السينما العراقية حيث مثلت بقلم الفجر الجديد وقدمت من خلاله أغنياتها الشهيرة هذا منو دك الباب يمكن اجونه الاحباب .

قد نكون لا نذكر جوانب أخرى من حياة هذه الفنانة التي عُدها علامة فارقة بتاريخ الغناء العراقي كزنها غنت الأطوار الريفية من جهة وقدمت الغناء البغدادي المميز بصوتها ذو النكهة الريفية ذائقة للمجتمع العراقي والبغدادي فيه لتظل مطربة للريف والمدينة بتميز أهم أغانيها

انا وخلي تسامرته وحبيته / كلمات جبوري النجار والحان كاظم الجابري
عليمن ياكلب تعتب عليمن // الحان عباس جميل
هذا منو دك الباب / الحان محمد نوشي
سبحانه الجمعنه بغير ميعاد / الحان محمد نوشي / كلمات حميد رشيد
أمس واليوم مامر علي / الحان حسين محمود /
وكلمات محمد حسن الكرخي
الي يحفظج ربي يايمه
يا أرضنا يا أرضنا
بسكوت أون / الحان عباس جميل



ماني صحت يمه أجا / الحان عباس جميل /
كلمات جبوري النجار
طالت غيبتك يا أسمر عليه
حرت والله بزمانني / الحان محمد نوشي /
كلما تاسماعيل جودت
يايمه ذاك أهواي / الحان عباس جميل
من وصلح ولاج
يمه وحك عيناچ / الحان عباس جميل
مدينتك تريد الغدر
غريبه وأنه بين أهلي / الحان عبد الفتاح حلمي /
كلمات حافظ القباني
ماجنت أدري / الحان ناظم نعيم
عين بعين / الحان عباس جميل
لو غاب الأسمر / الحان عباس جميل
ضيعت ثلثين عمر / الحان عباس جميل
ياناس ولقي كمر / الحان عباس جميل
مستاهل ياكلبي / الحان عباس جميل
ياحبيبه يايمه / محمد نوشي
على بالي أجد ماكان فركاك / الحان عباس جميل /
كلمات سيف الدين ولائي
هذه بعض من أعمالها الغنائية التي ما زالت حاضرة لذائقة الأجيال المعاصرة لفتحها ودعتنا الى العالم الآخر عام ١٩٩٥ بعد عقود من العطاء الغنائي المميز رحمها الله ..
عن كتاب (الاصوات النسائية العراقية) المعد للنشر.

المطربة وحيدة خليل تعتب وتقول: أمس واليوم ما مروا عليّ



بحثت عنها طويلا قبل ان التقيتها.. وعندما التقيتها فوجئت بها.. انها بصحة جيدة وليست عاجزة عن الحركة كما قيل لي وهي ايضا تحتفظ ببقايا جمال قديم ونضارة لم تغب، كما تؤكد ملامحها. وقالوا لي ايضا، ان وحيدة خليل منعزلة عن النفس وغاضبة على الاعلام فاحذرها. ولانها كذلك حاولت ان ادخل من نفس الباب التي اغلقتها على نفسها وعلى الآخرين، فضعفت على هذا العصب مستغفرا نهايتها التي تحاول ان تلغي وجودها فبادرتها قائلا:



× قلت لوحيدة خليل وانا احاول التخفيف من حدتها وتهدة اعصابها. من اين نبئتدئ.. هل نبئتدئ من الطفولة.. طفولتك..؟

قالت وهي تحاول ان تتبسم وتغطي ثورتها. - مثلما تحب.. ولكن ساحكي لك قصتي منذ الولادة وليست الطفولة، انا لم اتحدث لغريك قطعا مثل هذا الحديث ولكن يظهر بانك "ابن حلال" وتستاهل، لقد ولدت "ياسيدي" عام ١٩٢٨، في منطقة الرباط الصغير في محافظة البصرة من ابوين عراقيين، توفي والدي وانا طفلة صغيرة فتحملت والدي بشجاعة معيشتي، ليس لي اخ ولا اخت لذا اطلقت على نفسي - بعد ذلك - اسم وحيدة حيث ان اسمي الحقيقي هو "مريم عبدالله جمعة" ولاني وحيدة فقد عانيت كثيرا من هذا الجانب وظهرت اثره النفسية على نبرات صوتي بعد ذلك.

كانت منطقة البصرة مليئة بفرق الخشابة وكنت احفظ كل اغانيهم فاشترت لي "طلبة" واصبحت عازفة على الايقاع وانا عمري ثماني سنوات، وفي البيت كنت اغني واعزف لنفسي، وكان لهذا الاستعداد الفني المبكر اثره الكبير في حياتي الفنية اللاحقة حيث ضببت الايقاع الغنائي "الدوم" واصبحت اذني اذنا موسيقية ونظيفة للغاية حيث يسحيل علي الخروج عن الوزن او ارباك العازفين.

وشينا فشيئا كبرت موهبتي وكبرت ارادتي ومع تزامن السنين صار صوتي احلى واقدر وفي يوم من الايام خرجنا - العائلة - الى حديقة "ام البروم" حيث كانت هذه الحديقة مخصصة للعوائل كل مساء ولا يدخلها الرجال قطعا..

واخذت معي "الطلبة" ومعني صاحباتي وبدأت اعزف واغني وكانت الاغاني الشائعة لفرق الخشابة هي "جوزي اتجوز عليه وماشي لزوم الليلة وغيرها، ثم انشدت اغنية "انا بانتظارك" لام كلثوم وبالمنااسبة اذكر بان العوائل كانت انذا تحضر عروض السينما حيث شاهدنا ونشاهد عشرات الافلام مثل "الوردة البيضاء، سلامة، ننانير، افراح يقيلي، وغيرها.." وحين اديت جملة صعبة في اغنية "انا بانتظارك" سمعت من يصرخ خارج سور الحديقة "الله الله.. يا ام كلثوم البصرة، وحين التفتنا وجدنا ان الرجال واقفون على "سياج" الحديقة وهم يستمعون الينا فجن جنوني وهربت من الباب الخلفي وانا

مدير الاذاعة.. وصعقت هل يمكن ان ياتي لي مدير الاذاعة بنفسه.. سمعني واعجب بصوتي.. وقدمت للاذاعة وقبلت وصرت مغنية اذاعية.. وانتقلت عائلتي الى بغداد.. وهكذا صارت وحيدة خليل.. انها قصة طويلة ومتعبة لك اليس كذلك؟

قلت - لا والله - بالعكس - انا سعيد جدا وانا اسمع اليك والى مشوارك الطويل القاسي.

قالت - اكمل اذن.. اول اغنية كانت من الحان الفنان ناظم نعيم وهي اغنية "يايمة ذاك الهواي" واديتها على الهواي مباشرة حيث لم تكن انذاك اجهزة تسجيل.. بعدها غنيت اغنية خليجية باسم "كومي او كفيلي وارفعي البوشية" ثم استمر الحال وتواصل.

× قلت لها - من تعاون معك من الشعراء والملحنين خلال مسيرتك الطويلة؟

قالت - من الشعراء: جبوري النجار، سيف الدين ولائي، سبتي طاهر، ابو عادل، جودت التميمي وغيرهم، من الملحنين: ناظم نعيم، عباس جميل، المرحوم جميل بشير الذي لحن لي اغنيات جديدة وعلمني عزف العود، روجي الخماش، محمد عبد المحسن، محمد نوشي والفنان منير بشير فضل كبير علي في مساعدته لي بامور كثيرة لا انساها ابدا..

× هل غنيت في بلدان غير العراق؟

- قالت نعم - غنيت وسافرت الى بيروت/دمشق، الاردن، تركيا، بلغاريا، امريكا، لندن، وغيرها، وبالمنااسبة فاني قد غنيت عام ١٩٥٤ في بيروت وقد كان من بين الحضور في حفلي في سينما النور على ما اعتقد الفنانة الكبيرة فيروز والفنانة صباح وقد صافحتني فيروز وصباح بعد الحفلة وابديتا اعجابهما بالغناء العراقي.. وقد كان حاضرا انذاك الفنان وديع خوند الذي بواسطته تم توقيع عقد الحفلة؛ وهو الذي قدمني لهما.

- اجمل اغنياتك التي ظلت عالقة في ذاكرتك؟ قالت وحيدة خليل - "انا وخلي تسامرته وحجينة" اغنية احبها كثيرا واغنية يا ارضنا يا ارضنا لان لي في هذه الاغنية ذكريات عديدة.. اما الاغنية التي ترافقني الان وبعد عقود الجميع وابتعادهم عني فهي اغنية "امس واليوم ما مروا عليه!!"

عن جريدة الجمهورية

ابكي من الخجل!!

في تلك الظروف الاجتماعية الصعبة، وفي مثل تلك البيئة لم يكن سهلا على الفتاة ان تكون مغنية، لذا فنحن الذين صرنا مغنيات في ذلك الوقت كنا قد دفعنا ثمنا كبيرا من راحتنا واسم عوائلنا وربما حتى من كرامتنا.. ولو اغضب الان فان عذري معي.. لقد اعطينا الكثير للناس وللفن وللوطن فلماذا هذا العقوق!!

ثم اكملت قائلة: كنت معجبة بام كلثوم اعجابا كبيرا وكنت انحل السينما اربع مرات في الاسبوع لاشاهد ام كلثوم اربع مرات.. احفظ اغنياتها عن ظهر قلب لاغنيها في اليوم الثاني في المدرسة او في البيت كما كنت معجبة بالمطربة ليلي مراد وهنا اود ان اشير الى ان بداياتي لم تكن ريفية حيث اني بنت مدينة ولست بنت ريف.. وسناكر بعد ذلك كيف صرت مطربة ريفية..

ومن هذه الاغنيات حصلت على شهرة واسعة بين الاهل والاقارب فبدأت اسهم في افراحهم واعراسهم لكن بدون اجور!! ومن هذه الاعراس والافراح شاع صيني وبرز اسمي فبدأت اغني في حفلات النوادي ثم صرت اتلقى اجورا عن ذلك وكنت اغني لام كلثوم فقط واحيانا اغنيات سليمة مراد..

وفي يوم تلقيت دعوة للغناء في حفل زواج بيت الشيخ "محمد العربي" وهو شيخ معروف في مدينة العمارة، وكانت المرة الاولى التي اخرج واغني خارج البصرة هناك استمعت ولاول مرة للغناء الريفي فاعجبني مطرب اعتقد ان اسمه "جويسم" كان يغني بشكل جميل وساحر، وبدأت اسمع اليه وانتبه الى طريقة غناؤه وبقيت سبعة ايام اتعلم حتى حفظت كل اطوار الغناء الريفي.. ومن ذلك الوقت وانا مطربة ريفية، بل وصرت ريفية!!

وفي يوم جاءني رجل وانا اغني في النادي هامسا في اذني لماذا لا تذهبين الى بغداد حيث الاذاعة والنوادي والشهرة والمال.. واستلظفت الفكرة.. وفي اليوم الثاني سافرت الى بغداد.. ونزلت في فندق لا اذكر اسمه في شارع الرشيد، ومن هناك اتصلت باحد معارفنا وعرضت عليه رغبتني للغناء في الاذاعة فامتدحني.. وفي المساء زارني في الفندق مستصحبا معه رجلا لا اعرفه.. قدمه لي قائلا: محمد علي التكريتي

وحيدة خليل .. أميرة الأغنية الريفية

أبواب - زياد عساف



بالنسبة لها ، خشية على المكانة و التقدير اللتان حظيت بهما وحيدة وجعلها متريعة على عرش الأغنية النسائية في العراق لفترة من الوقت ، ولاقت على إثرها الإهتمام و الرعاية من الإذاعة العراقية بسبب ندرة الأصوات النسائية القديرة وقتها .

أعمالها الأكثر تميزاً جاءت على يد الملحن عباس جميل مبدع أغلب أغانيها وحققت بها نجاحاً تشهد له الساحة الغنائية في العراق ، ومنها : أنا وخلي تسامرنا و حكيئا ، لاهو جرح ويطيب ، أمس و اليوم ، على بالي أبدي ، أقولك لو عواننا تقول لك ؟ بسكوت أون ، ماني صحت ، كان الحلو بعيني ، لو غاب الاسمر ، أما الألسان الأخرى فكانت من إبداع أشهر الموسيقيين العراقيين أمثال : محمد نوشي ولحن لها : سبحان اللي جمعنا من غير ميعاد ، هذا منو دق الباب ، وحظيت بألحان جميلة أخرى لكل من : روجي الخماش ، جميل بشير ، محمد عبد المحسن ، كاظم الحريري ، عباس الغمري ، خزعل فاضل و محمد جواد أموري ، هذه الأعمال نظمتها شعراً أهم مؤلفي الأغاني ممن تألقوا في هذا المجال آنذاك ومن بينهم : جبوري النجار ، ابراهيم وفي ، سيف الدين ولائي ، جودت التميمي ، رشيد حميد ، عباس العزاوي ، مجيد معروف ، جاسم محمد ، أحمد القيسي ، سبتي الطاهر و اسماعيل جودت .

شجن .. رغم محدودية طبقات صوتها إلا انها استطاعت تعويض ذلك بالبحر الجميلة في غنائها ، وشفافية الأداء و الشجن الغير مفتعل كما يحدث الآن وبنسبة كبيرة بين المطربين في البلاد العربية ، ينصفها في ذلك ويقطع الشك باليقين بالإستماع لأعمالها التي تعد بالمئات ومن بينها : حرت والله بزمان ، عليمين ياقلب تعبت عليمين ، ضيقت ثلثين عمري على مودك ، احزن حزن معدان ، شتأمل ، عين بعين ع الشاطيء تلاقينا ، ويل قلبي ، ما اقدر احاكيك ، بس دمة بقت بالعين ، مزين ابدليك و اسولف قصتي ، يا اهل الهوى هنونا ، هب يا نسيم الهوى ، تقطع الدلال ، روجي ما تبطل عليك ، هذا الوعد و المكتوب ، ع الولف ساهر دوم ، برافا أمشي برافا ، من مثلي يهوى اليهوا خاطر ، وياك اشحكينا ، جنيت و اتعنت ، ما بدل زماني الحال ، تاليها ع الحبلين تلعب ، غريبة و انا ما بين أهلي ، حيرني القلب ، سطرين بوسط دلالي مكتوبة ، المصايب ما لون غير لوني ، وسف على فرقاكم ، هنا بالحدادي ، خي لاتروح بساع ، ركضت الأغصان ، وليفي و ادور عليه ، مستاهل يا قلبي ، غريبة غريبة ، قلبي هيه ، أبكي و اهل العين .. مضيع بالعرب صوبين ، زمان أنا و خلي ، وين وعودكم يا احباب قلبي ، ريش يا حادي ومن وصلك من دلاك .

يا أرضنا .. في الوقت نفسه قدمت بعض الأغنيات التي تعكس طابع الفرح و التفاؤل ومنها : ليل الفرح لذ وطاب ، ليلة من ليلينا البديعة ، على نور القمر ، يا أهل الهوى هنونا .. زارونا اللي يحبونا ، يا ناس ولفي قمر ، التشتبث في الأرض قيمة عزيزة على كل إنسان خاصة من المزارعين أبناء طبقتها ، من هنا راحت تتغنى بالأرض : طالت غيبتك يا اسمر علينا و أغنية : يا أرضنا .. يا أرضنا ، و التي تم تسجيلها لبرنامج خاص بالزراعة ، ولها من أغاني الأعراس : عريس و بزفة عرس . في التلفزيون كان لها بعض التسجيلات القديمة صورتها باستوديوهات التلفزيون العراقي ، و أغنيات أخرى تم تسجيلها لصالح التلفزيون الكويتي و من ضمن حفلات قدمتها في الكويت

يعرفونها حسب ما ورد في لقاء صحفي أجري معها منذ مدة طويلة .

أريد أوقف بحبي الولف .. البحث في مشوار مبدعي الفنون يأخذ الباحث و المستمع لعوالم الغناء العربي الجميل ، و من أهم المزايا الماثلة للعيان بهذا المجال يبرز التنوع بطرح المواضيع و المواقف والتي تميزت بها الأغنية العربية ، و يسترعي الإنتباه واحدة من أغنيات وحيدة خليل بعنوان (أريد أوقف بحبي الولف) ، وهي تحكي عن موقف ورد في العيد من الصور الغنائية ، و يتعلق بتوجه الإنسان أو تحويل خط سيره نحو الأماكن التي تربطه بذكريات مؤثرة مع محبيه ، أو ما يطلق عليه بالوقوف على الأطلال ، مع تنوع و اختلاف الأسباب لكل فرد ، وبهذا الصدد تشدو وحيدة في هذه الأغنية :

أريد أوقف بحبي الولف وين الولف ؟
أصرخ و احشم كل هله أه من هله

واصبح وين أهل الرحم

وين اللي يحل المشكلة ؟!

نازل يا قطار الشوق ..

ومن العراق أيضا وفي صورة غنائية ماثلة غنى عبد الجبار الدراجي :

نازل يا قطار الشوق

نازل هاي ديرتنا

فوق من المحطة فوق

خلها تصوير نزلتنا .

ومن قطار الدراجي إلى الطائفة التي يستقلها فهد بلان الذي راح يستسمح الطيار :

طول عمرك يا طيار .. حوَملي فوق هائلته

تا ودع ولفي و الجار .. من بعدا طير و علي

أما محمد عبد المطلب فيذهب باليوم مرتين قاطعا هذه المسافة الطويلة :

ساكن في حي السيدة و حبيبي ساكن في الحسين

و عشان اتول كل الرضا يوماتي اروح له مرتين م السيدة لسيدنا الحسين .

وعند مروره على بيت الحبايب غنى محمد عبد الوهاب :

مريت على بيت الحبايب

من اشتياقي أناجي أهله

ما دام ملك القلب غايب

وفي التلاقي يبخل بوصله .

يا دار ..

ومع محمد رشدي كان الشجن و التأثر باديا في غناؤه لحظة مروره في البيت القديم :

في البيت القديم و نفس المكان

في البيت القديم و نفس الجيران

لسه الكلام اللي احنا كنا بنرسمه فوق الحيطان

لسه باقي حاجة منك غصب عني و غصب عنك

رغم بعدك و الزمان لسه ريحتك في المكان

في البيت القديم !

وعند دار الولف عادت وحيدة خليل مرة أخرى تشكو وحدتها :

يا دار وين الولف يا دار دليني

ليش الولف وحدي تخليني

يا عين هلي الدمع صبي على جروحي .

نصري شمس الدين وعند مروره بمدينة طرطوس السورية أشار للسائق بالوقوف وفي داخله خوف من شيء ما عبر عنه مغنيا :

وقفلي خليني بوس شبابيك الحلوة في طرطوس

يا بيتا المضوي ع البحر قلبي و عيني محروس

دخلك يا أحلي عيني إصحي تقولي غايب وين

بدي زورك من شهرين مسكتني مرتي ومحبوس

! عن جريدة الرأي الاردنية

وحيدة خليل: مريم البصرية التي فتنتها بغداد فصارت نجمتها

علي عبد الأمير



مع انها رددت مطولا في افراح مدينتها ومناسباتها الاجتماعية، اغنيات بيئتها الاولى التي تنوعت بين انغام شعبية سائدة في البصرة، واصوات ريفية لطربين: داخل حسن، حضيري ابو عزيز، ومسعود (مسعود) العمار تلي، الا ان مريم عبدالله جمعة، المولودة اوائل عشرينيات القرن الماضي، لم تجد نفسها، بعد ان نضج صوتها، الا وهي تتوجه نحو المدينة الغاوية،

نحو بغداد التي كانت اغنياتها تترنق بحلاوة مطربات امثال سليمة مراد، منيرة الهوزون، عفيفة اسكندر، وغيرهن، وبعد ان وجدت نفسها وقد تدرجت مطولا على اداء غنائي راق مثله اصوات ام كلثوم، اسمهان ويلي مراد. هكذا بدأ السحر وهكذا فعلت الغواية فعلها.

وفي حوار صحفي، تكشف، من سيصبح اسمها وحيدة خليل، عن بداياتها فتقول: "كانت منطقة البصرة مليئة بفرق "الخشابة"، وكنت احفظ كل اغانيهم فاشترت طبله، واصبحت عازفة على الايقاع وانا في الثامنة، وفي البيت كنت اغني واعزف لنفسي، حتى ضببت الايقاع الغنائي "الدوم"، واصبحت انني، انما موسيقية ونظيفة للغاية حيث بات يستحيل علي الخروج عن الوزن او ارباك العازفين".

"الله الله.. يا ام كلثوم البصرة"

وفي البصرة ذاتها، "كبرت موهبتي، شيئا فشيئا، وكبرت ارادتي، وصار صوتي احلى واقدر، وفي يوم من الايام خرجت وعائلتي الى حديقة "ام البروم"، حيث كانت هذه الحديقة مخصصة للنساء كل مساء ولا يدخلها الرجال قطعا. معي "الطبله" وصاحباتي، وبدأت اعزف واغني لفرق "الخشابة"، ثم انتشرت اغنية "انا بانتظارك" لام كلثوم.

وتكشف وحيدة خليل، جانبا مهما من القيمة الفنية- التربوية لعروض السينما في المدن العراقية، وتقول "انكر بان العوائل كانت آنذاك تحضر عروض السينما، حيث شاهدنا عشرات الافلام مثل "الوردة البيضاء"، "سلامة"، "نانير"، "افراح قلبي"، وغيرها، وحين اديت جملة صعبة في اغنية "انا بانتظارك" سمعت من يصرخ خارج سور الحديقة "الله الله.. يا ام كلثوم البصرة، وحين التفتنا وجدنا ان الرجال واقفون على "سجاج" الحديقة وهم يستمعون لنا فجن جنوني وهربت من الباب الخلفي وانا ابكي من الخجل".

صوت الريف "المتدن"؟ وعلى منوال المطربين حضيري ابو عزيز وداخل حسن، في تلمس "مدينة" بغداد طريقا لترسيخ التجربة الفنية، وتطوير الذات المطربة، عبر ما تتوافر عليها من وسائل تقنية (صناعة الموسيقى تلحينها وتسجيلا وبثا)، وجدت المطربة وحيدة خليل، طريقها لدخول الاذاعة، بعون من داخل حسن، بحسب ما يذهب اليه الباحث المتخصص في الغناء العراقي، كمال لطيف سالم: "عندما عرفت في الاوساط الفنية، تطلعت للذهاب الى بغداد حيث المسارح والاذاعة، وتعرفت على الفنان داخل حسن الذي سمعني واخذ يعلمني بعض اطوار الغناء الريفي ومهد لي الطريق لدخول الاذاعة، وهناك تعرفت على الملحن ناظم نعيم والشاعر ابراهيم وفي، وكانت اغنية تواعدنا". وفي البدايات ايضا، تكشف المطربة الراحلة "بعدها غنيت من كلمات الشاعر اسماعيل جودت والحان محمد نوشي

التعبير عن الحالات الشعورية الانسانية، غير ان صوت وحيدة خليل، بدا متضمنا لذلك التعبير، حتى مع انه صوت بحدود بسيطة بين مستويات الجواب والقرار، وذلك يأتي من خلال غنى يأتي عبر "الروحية" في الاداء والاخلاص التام للمعاني والحالات الشعورية في النص، فلو اخذنا، اداءها في "انا وخلي تسامرته وحجينه"، لوجدنا سريعا وبلا مقدمات، ذلك السرور الانيق المزوج بالوجل الخفي حين يتم التعبير صراحة عن مشاعر الحب، والطافح بالثقة والقوة حين يكون الامر متعلقا بالظواهر الطبيعية والمكانية التي يتضمونها مشهد الاغنية المرسوم بعناية حيث العاشقان يتنزهان على شاطئ النهر وتحت ضوء القمر: "نزهة والبدن شاهد علينا"، والانطلاقة الكبيرة مع النسيم العذب والعذبي تنسم/ عبير الورد نشتم/ على شاطي النهر جينا وغدينا". وهذا النوع من الاداء المعبر للمشاعر على اختلاف مستوياتها، ما هو الا ملمح مركب، يجسد ما هي عليه ثقافة المدينة من تركيب شعوري متعدد.

وفي اغنية "عين بعين على الشاطئ تلاقينا"، نعود الى المشهد ذاته: الشاطئ/ القمر/ النزهة، لكن وفق حالات شعورية جديدة، تولى صوت المطربة تجسيدها باقتدار، فهناك الحسرة والشوق المكتوم مشينا وظل على عيوني خيال يحوم مثل الطيف، كذلك ثمة الوجد المؤلم "وفي وسط القلب اه، على شفاقي مرارة حيف"، وكما كانت الصوت موفقا في تجسيد "الاه" و"المرارة" حين يقارنها بطريقة يكاد يجسد ما فيها من خذلان والتمسك وسوق ايضا، ولو توفر لحن غير هذا الذي جاءت عليه الاغنية، وكان خفيفا سريعا، لاغنتت تعبيرية الاداء وتعمق تأثيره الوجداني.

وعلى هذا المنوال من روية الاداء وتعدد مستوياته الشعورية، يأتي صوت وحيدة خليل في اغنية "على بالي ابد"، وبالذات حين يأتي جوابا "على غفلة تقارقنا"، كأنه النذير المخيف الذي حمل الفراق على حين غرة، او قرارا خفيفا جميلا "تدريني احبك وانا اهو اك"، كأن الحب والثقة يتفان على العميق والهائئ في النفس.

وفي مزيج من التعبيرية العالية، والصدق في الاداء، فضلا عن اللون الشخصي (روحية المدينة حتى في التعاطي مع قضايا اجتماعية تتعلق بحياة الريف ومشكلاته)، جاءت اغنيان بارزان لابنة البصرة التي صارت علامة في الغناء البغدادي ايضا، هما: "طالت غيبك يا اسمر علينا"، و"يا ارضنا... يا ارضنا" اللتان استخدمتا "دعائيا" من قبل الانظمة العراقية الجمهورية في تشجيع الفلاحين على العودة الى الريف ضمن ما عرف حينها "الهجرة المعاكسة"، وفيهما روحية تعبير مدنية في الصوت والكلام واناقة الجملة اللحنية، على الرغم من كونها اغنية تنتمي فكرتها الى الريف مكانا ودعوة اجتماعية- انتاجية، والجوهري هنا، هو ان العامل المحرك في الثقافة العراقية، حتى مع بدء استيلاء السلطات الحاكمة ما بعد تموز 1958 على المؤسسات والوسائل المنتجة لتلك الثقافة، هو الجوهر المدني المتحضر، وقبل ان تتحكم القيم الريفية والبدوية الوافدة مع الحاكمين لبغداد، لغة ومفاهيمها وانماط تفكير، بذلك الجوهر وتمتكن لاحقا من قتله في عملية تصحير للنفوس والافكار، وهو ما كان طبيعيا ان نلتمسه في مشهد كئيب تماما، عنده رحيل المطربة الانيقة الحضور الصوتي والاطلالة المسموعة والمرئية، في وقت كانت بلادها تلملم حطامها المعنوي والمادي، حين وريت الثرى في صمت تام منتصف العام 1991.

الريفي فأعجبني مطرب اعتقد ان اسمه "جويسم"، كان يغني بشكل جميل وساحر، وبدأت استمع اليه وانتبه الى طريقة غناؤه، وبقيت سبعة ايام اتعلم حتى حفظت كل اطوار الغناء الريفي".

ويبدو تعاون الملحن الفذ عباس جميل مع المطربة وحيدة خليل، تأكيداً لمعنى "مدينة الغناء" أي نقله من اجواء الريف الصرف الى اجواء التلقي المدني، فهو حين لحن اغنية "ماني صحت يمه احاجا وين اهلنا"، قال إن هذه الاغنية لا يمكن ان تؤديها غير المطربة وحيدة خليل لأنها من اهل الجنوب وهي التي تعبر اكثر من غيرها من المطربات، والامر ذاته تكرر مع اغنياتها "على بالي ابد ما جان فراك"، و"عين بعين على الشاطئ تلاقينا". ومثل هذا الصساسية في مزج الريفي ببطر الحداثة المدنية كانت في الحانه للمطربين داخل حسن وحضيري ابو عزيز، ولكن ضمن مساحة في حرية الاداء متروكة لإصحاب الاصوات الغنائية: "انني لا أقيد المطرب أو المؤدي بصرامة، فألحاني في الحقيقة فضاءات مفتوحة رحبة، للمؤدي أن يتجول فيها شرط أن يحافظ على هيكلها الأساسي".

وبحسب حوارها مع الكاتب والباحث كمال لطيف سالم، تقول "لقت فيما مضى بأميرة الغناء الريفي، ولاشك ان الملامح الاساسية التي يتشكل منها صوتي تكمن في صفاته وانسيابه وقدرته على التفاعل، مع الكلمة واللحن الريفيين. وهذا لا يعني بالضرورة، عدم استطلاعتي تأنيب الاغاني العصرية"، مؤكدة "لقد كان اول من اكتشف جوهر صوتي، هو عباس جميل، الذي صاغ لي العديد من الالحان، التي دفعت بقدرات صوتي نحو المزيد من التألق والنجاح، وأشهرها: انا وخلي تسامرته وحجينه/ لا هو جرح ويطيب/ عليمين ياقلب تعبت عليمين/ حرت والله بزمان/ امس واليوم/ ارد اوقف بحي الولف/ على بالي ابد/ اقولك لو عاودنا نقولك/ بسكوت اون بسكوت/ يمه هنا/ ماني صحت/ جان الحي حلو بعيني/ يحفظك يايمه".

روحية الغناء

في الاداء الغنائي، يندر ملمح اساسي الا وهو

اغنية "حيرة"، ومنها "حرت والله بزمان يا صحبي/ احير بولفي لو احير بغربتي"، بعد هذه المرحلة، بدأت افهم بعض الامور المتعلقة بالموسيقى والغناء، فلحن لي مرة اخرى ناظم نعيم اغنية "ما جنت ادري" من كلمات جبوري النجار والحان كاظم الحريري، وكذلك "انا وخلي"، ومن مطلعها "انا وخلي تسامرته وحجينه/ نزهة والبدن شاهد علينه".

ما يلفت في تلك البداية، ان المطربة الانيقة الحضور حتى وإن تزينت بالملابس والحلي التقليدية، اثناء تسجيلها اغنياتها للتلفزيون، لم تقع اسيرة الحدود التقليدية لما هو ريفي غناء ولفظا وظهورا، بل امكن لها فعلا ان تكون متمدنة الحضور، دون ان تنتكر لأصول ثقافية ريفية، ممثلة بالمفردة والنطق والاطوار النغمية، وقد يكون هذا عابدا ايضا ليس للجانب التقني الممثل في جوانب الصناعة الموسيقية، بل كذلك لكون تلك البداية جاءت في وقت باتت المدنية في بغداد بخاصة، والعراق بشكل عام تسجل حضورها على اكثر من صعيد ثقافي وانساني، مثلما كان لحسن الحظ تأثيره ايضا، فهي تعرفت في بداياتها الحقيقية على رموز "الاغنية البغدادية" لحننا: ناظم نعيم، محمد نوشي ولاحقا عباس جميل، وشعرا: جبوري النجار، ابراهيم وفي، سيف الدين ولافي، وغيرهم.

وعن الجانب المدني في حياتها وقها تقول: "كنت معجبة بأم كلثوم اعجابا كبيرا وكنت ادخل السينما اربع مرات في الاسبوع لأشاهد ام كلثوم، كنت احفظ اغنياتها عن ظهر قلب كي اغنيها في اليوم الثاني في المدرسة او في البيت، كما كنت معجبة بالمطربة ليلى مراد، وهنا اود ان اشير الى ان بداياتي لم تكن ريفية حيث اتي بنت مدينة وليست بنت ريف".

لكن صاحبة "عليمين ياقلب تعبت عليمين"، تستدرك متسائلة "كيف صرت مطربة ريفية؟ فتقول "وفي يوم تلقيت دعوة للغناء في حفل زواج في بيت الشيخ محمد العربي، وهو شيخ معروف في مدينة العمارة، وكانت المرة الاولى التي اغني فيها خارج البصرة. هناك استمعت ولأول مرة للغناء

وحيدة خليل صوت الحنين الدافئ

سعدى جبار مكلف



ايقنت تماماً ان الحكاية لا تنتهي على خير مع مدير المدرسة الاعدادية التي نقلت اليها عقوبة وابعاداً لي فقد نقلت الى اعدادية الزبير للبنين الواقعة على اطراف مدينة الزبير الحدودية ، تقع بناية هذه المدرسة مباشرة امام مقبرة كبيرة تضم عشرات القبور القديمة والحديثة فقد ارسل لي عدة مرات وفاتحني في الانتماء الى حزب السلطة وقد عرفت لاحقاً انه كان من المنتمين الى الحزب الشيوعي سابقاً ويعرف كافة التفاصيل التنظيمية صغيرها وكبيرها وهو رئيس نقابة المعلمين في الزبير خادم السلطة روحاً وجسداً ولا اخفي انه نكي يعرف جميع الاساليب والحيل ومتمرس في كسب ما يريد وبشتى الاساليب وقد اخبرني وبصوت منخفض انه لا يتحمل مسؤولية بقائى واستمراري في المدرسة فقد دافع عني كثيراً ومع علمي ويقيني انه يدعي هذه الحكايات والقصص كذبا وزورا اخبرني ان المدرسة اغلقت تماماً واصبحوا جميع الملاك التعليمي منتمين الى الحزب اي حزب البعث العربي الاشتراكي وماهي الا ايام حتى صدر امر نقلي من مدرس مادة الفيزياء للصف السادس العلمي الى كاتب وكنت ضمن اكثر من مائة وسبعون مدرس ومعلم ، وكان القسم الذي نقلت اليه قسم المختبرات وهذا القسم لا يوجد اصلاً لعدم وجود مختبرات في المدارس وانتهى كل شئ درسته في الفيزياء سلمني كتابان الاول امر تحويلي من مدرس الى كاتب والثاني انقطاعي عن الدوام في الاعدادية ويجب ان ابشر في مديرية التربية عدداً تسلمت الكتاب واتجهت الى مديرية التربية في العشار خلف الاعدادية المركزية وصلتها متأخر تركت كل شئ الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني اصبحت كاتباً في قسم المختبرات وموقعه في بناية قديمة في منطقة البصرة القديمة وفي المخزن الثانوي ، المكان غرفة تحتوي على عدة مناظير لموظفين مبعدين عجزاً او سياسيين يترأسهم رئيس ملاحظين كان مسؤول نقابة المعلمين في البصرة قبل مجئ البعث يعرفه كل اهالي البصرة من خلال الجمعية الاستهلاكية للمعلمين ارشدوني الى مكان عملي الجديد وهو عبارة عن منضدة وخزان يحتوي على سجلات لمختبرات المدارس واغلبية مدارسنا لا يوجد فيها مختبرات (اسمي بالحصاد ومنجلي مكسور) وبعد الاستفسار عرفت اني المسؤول عن نفسي في كل شئ وهكذا اصبحت كاتب ليس الا وضاع تعب اربع سنوات دراسية . الدائرة عبارة عن بناية قديمة جداً يمكن السقوط في اي لحظة وانا اصبحت لا أشغل ولا عمل لاحظت ان الموجودين يقضون كل وقتهم في سوق البصرة القديمة وفي سوق الطيور والحمام الموجود قريب من الدائرة او شارع بشار مقر بنات الليل والغانيات والراقصات وفرق الطبل والحفلات لم اعر اي اهتمام لهذه النكسة الكبيرة والحاربة لطموحي واملي وقدراتي بل اعتبرتها جزء من تضحياتي الكبيرة كان والدي رحمه الله على مشارف النهاية وكنت بجانبه كل وقتي جلب انتباهي ان امرأة في اواسط عمرها تقف بالباب المقابل الى باب الدائرة حيث ان الزقاق ضيق عرضه حوالي اربعة امتار ترندي الهاشمي والملايس البصرية الانيقة وترتدي مصوغات ومخشلات كثيرة جدا من الزنادي الى الحجل الذهب والمفردات وغيرها وكانت كأنها ترندي معرض لصنائع بكامله ابتدأت الكلام معي وبقيت



أسمها الحقيقي مريم عبدالله جمعة ومن مو اليد عشرينيات القرن الماضي في حي الرباط الصغير بمحافظة البصرة، وقد أختير لها لقباً فنياً فاشتهرت باسم (وحيدة خليل) ، نشأت وهي تستمع إلى أطوار الأبوذيات والمواويل المليئة بالحنن والشجن ، وكانت تستمع إلى أصوات معروفة بالغناء الريفي مثل (حضيرى أبو عزيز) و (داخل حسن) وآخرين بدأت الغناء متأثرة بصوت ام كلثوم وكانت تقلدها ولكنها ابتعدت عن التقليد عندما رحلت من مدينتها البصرة الى العمارة حيث داعبت أنفها الوان الغناء مثل المحمداوي والحيماوي والغافلي والنائل والسويحلي والركباني ، مزيج الالوان هذه فتح امامها طريق الشهرة والطموح فقررت الرحيل الى بغداد اتجهت إلى الغناء الريفي عند دخولها الإذاعة العراقية عام ١٩٥٠ سافرت الى بيروت/ دمشق، الأردن، تركيا، بلغاريا، امريكا، لندن، وغيرها، قد غنت عام ١٩٥٤ في بيروت وقد كان من بين الحضور في حفلتها في سينما النور الفنانة الكبيرة فيروز والفنانة صباح. عام ١٩٦١ اشتركت في تمثيل فلم فجر الحرية وغنت اغنياتها المشهورة هذا منو دك الباب . ان اول من اكتشف جواهر صوتها الملحن عباس جميل الذي عرفها على الملحن ناظم نعيم حيث قدمها الى الجمهور في اغنية (يايمه ذاك هواي). ثم جاء الفنان الراحل جميل بشير فقدمها باغنية (من وصلج من دلاج).. كانت هذه اول مرحلة تخطوها. ثم جاءت القفزة الكبيرة، على يد الملحن عباس جميل، الذي صاغ لي العديد من الاالحان، التي دفعت بقدرات صوتها نحو المزيد من التألق والنجاح، منها (عين بعين، وجاوين اهلنا) وغيرها. في نفس العام الذي دخلت فيه الإذاعة العراقية، سجلت لها شركات الأسطوانات مجموعة من الأسطوانات، كان أولها اسطوانة بعنوان ” للول يا الولد يا ابني في وقت قصير جداً وجدت وحيدة خليل نفسها في بغداد مطلوبة في البيوت والحفلات الخاصة، ولم تكتفي بذلك، حيث راحت تستكمل مسيرتها الفنية عن طريق الغناء في الملاهي التي كانت في ذلك الوقت حاضنة المغنيات المطربة وحيدة خليل مطربة جزيلة العطاء غنائياً، حيث تملأ ذاكرة المكتبة الغنائية العراقية بأعذب أغانيها، شجيرة الصوت ، تجيد الغناء الريفي الأصيل القريب من ذائقة أهل المدينة، حلاوة الصوت ضلت تراقفها حتى يومها الأخير، تحس النبرات الطفولية في صوتها عام ١٩٦١ اشتركت في تمثيل فلم (فجر الحرية) وغنت فيه اغنياتها المشهورة (هذا منو دك الباب) أجادت المطربة وحيدة خليل غناء الكثير من الأطوار الغنائية مثل: الحيماوي، المستطيل، الدشت، العنسي إلى جانب السويحلي والنائل والبستة، إلا أن أكثر أغانيها شهرة وحلاوة هي تلك التي كانت تؤديها بطور الغافلي واطوار كثيرة متنوعة . غنت للملحن محمد نوشي (سبحان الجمعه) و(هذا منو دك الباب) و(الي يحفظج ربي يا يمه). ولحنّت وحيدة خليل لنفسها بعض الأغنيات، وكان أبرزها أغنياتها الشهيرة ” أنا وخلي تسامرنا وحجينا . »

تحتسب حسابه كنت من اعماقي اود سماع صوتها العذب وهي تردد (للول يا الولد يبني للول) كانت قمة من التحدي والكبرياء الشامخ تزرع الامل منذ اللحظة الاولى لكلامها معك وتصنع منك بطلاً وسيفاً جباراً لا يغمد ابدأ اعتدت على سماع حكاياتها وقصصها وكان اسمها الحقيقي مريم عبدالله جمعة وسيرة حياتها كما يلي

اسلم عليها كلما اشاهدها تتكلم بمنطق الواثق من نفسه تعتن كثيراً بكبرياتها وشخصيتها الجذابة المحبوبة تنجذب اليها وتحاورها وتتكلم معها كانت حنونة وعظيمة الى ابعد الحدود اصبحت من اصداقائي المعززين المقربين اتكلم معها بصمت واخبرها لوعتي وعذابي وعرفتها انها المطربة وحيدة خليل تصاورني عوفه يساعدي ولا

من اجمل ما لحن لها الملحن عباس جميل :لا هو جرح ويطيب ، علمين ياقلب تعتب علمين، حرت والله بزمان، امس واليوم، ارد اوقف يحيى الوالف، على بالي ابد، اقولك لو عوانلنا تقولك ، بسكوت اون بسكوت، يمه هنا، ماني صحت، جان الحي حلو بعيني، الي يحفظج يايمه . توفيت رحمها الله في تسعينيات القرن الماضي .

”وحيدة خليل“.. عطر الماضي وأناقة الاداء

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون



ستار الناصر

”ببضافون، جقمقجي“ وغيرهما على تسجيل أغانيهن الجميلة. تلك الشركات النبيلة التي أرشفت هذه الأغاني وهي تحمل هوية موسيقانا العراقية. ورغم ان تلك الأغاني جاءت بعفوية اللحن وبساطة الكلمات، لكنها غنية كل الغنى في استخدام السالمة الموسيقية ”المقامات والأطوار وغيرهما“.

كانت الساحة الغنائية في تلك الفترة وما بعدها تعج بأصوات نسائية أصبحت مطربات وحققن نجاحا ملحوظا، فيهن البغداديات من أمثال الراحلات: صديقة الملاية، وسليمة مراد، منيرة الهوزوز، وأصوات قادمة من ريف الجنوب كجليلة أم سامي، مسعودة، وعربيات قادمات من دول كمصر ولبنان؛ كترجس شوقي، وانصاف منير وراوية، ونهاوند، وغيرهن الكثير.

الراحلة وحيدة خليل هي من المطربات القاديات من قرى الجنوب الجميلة، لكنها في بغداد وقفت تتأمل ما يحدث، حيث صديقة الملاية، وحضيرى ابو عزيز، وناصر حكيم، وداخل حسن ومصدام المؤثر في الساحة العراقية آنذاك. هذا التأمل جعلها تعيد قراءة صوتها لتخلطه بمدنية المدينة فصار صوتها وأداؤها يتمثلان الاناقة في أرقى صورها.. هادئة متأملة كلمات أغانيها، فغنت في أجمل ما يكون الغناء، حتى باتت أغنية ”لا هو جرح ويطيب“ على كل لسان، يرددها الواحد منا بشوق ودهشة. كذلك أغنية ”بسكوت اوب بسكوت تره ما ورج احد“، وهكذا شقت القادمة من الريف طريقها في عالم الغناء لتحقق شهرة لا تقل عن شهرة مجايلها ولتفتح الباب أمام ملحنين كبار كالراحل عباس جميل ليلحنوا لها أعذب الأغاني منها: ”ماني صحت يمه أجا ودين أهننا، وهذا منو دك الباب“ وغيرهما. كذلك لحن لها

الملحن الراحل محمد نوشي وكاظم الحريري الذي كان يصاحبها في حفلاتها وقد لحن لها اغان كثيرة منها ”الريف لك موش المدينة“. وهكذا بزغ نجمها عاليا لتخصص لها الإذاعة مكانا بارزا بين المطربين الكبار لتقدم أغانيها عبر الإذاعة.

ويذكر ان اشده المعجبين بادائها من الفنانين الكبار هو الموسيقار الراحل جميل بشير؛ لذلك وافق على الفور حين طلبت منه أن يعطيها دروسا في آلة العود. كما ان وحيدة كانت تحرص على ان تظهر في أغلب تسجيلاتها التلفزيونية وهي مرتدية الزي العراقي المعروف بالهاشمي، وتضع شالا جميلا على راسها - بالرغم من انها ليست القفستان السواريه - هذا وقد خصها الإذاعي الكبير الراحل سعاد الهرمزي في برنامجها الشهير ”من الذاكرة في حديثه عنها ذكرا فضلها على الغناء العراقي ومنزلتها بين أقرانها فيه. وفي أواسط التسعينيات رحلت الفنان الهادئة الوقورة بهدوء عن عالمنا تاركة الكثير من الأغاني التي لا تنسى، ومن منا لا يحمل حبا كبيرا لأغنياتها الشهير ”للول يالولد يبني للول“ وهي بمثابة سوناتا خالدة بحد ذاتها. ولا أعتقد انها غنت أغنية من أغنياتها ولم تصبها الشهرة، واليكم بعضها ”عليمن ياكل نعبت عليمن“، ”حرت والله بزمني ياحسرتي“، ”سبحانة الجمعة بغير ميعاد“، ”هذا منو دق الباب“، ”امس واليوم“، ”أرد اوقف بحي الولف“، ”على بالي ابد“، ”أقولك لو عوانلنا تقولك“، ”يمه هناه“، ”جان الحي حلو بعيني“، ”اليه يحفظج يايمة“.

وحيدة خليل، ولأنها الحاضرة حتى اليوم في ذاكرة الناس بقوة، فهي بحق الحامل لعطر الماضي الجميل، وأصلته الينا بأدائها الأنيق.

ظهرت الفنانة الراحلة وحيدة خليل في مرحلة الأربعينيات، وهي تبحث عن مكان لها في المشهد الموسيقائي العراقي. ووحيد خليل هي الامراة العائدة من ريف الجنوب مختزنة في ذاقتها الندية ما سمعته هناك من أطوار الغناء الريفي الصعبة الأداء، كالأبوذيات والمواويل وغيرهما بما تحمل هذه الأنواع الغنائية من رقي واصالة؛ والتي في طبائتها يكمن الشجن الجميل والعفوية في الأداء، كل هذا أكسبها الدفاء والجمال. وهاتان الصفتان ”الشجن الجميل وعفوية الأداء“ كانتا السمة البارزة في تلك الاغاني التي ما زال الغناء العراقي متشبع بهما. شهدت تلك الفترة الأربعينات ظهور الأصوات النسوية وتهافت مختلف شركات تسجيل الاغاني

وحيدة خليل... الحنجرة التي تبيع العطر



نعيم عبد مهمل

ووحيدة خليل أطربت الذاكرة العراقية بشجن الروح عندما تتمنى من الأغنية أن تكون المخلص المثالي من عذابات الفقر ولوعة العشق ومحاولة البعض من جعل الصوت حديقة للذكريات، لهذا يكون الجمع بينهما والمديح لهما في مرآة واحدة حق وليس فيه نشاز ولهذا عندما كتب المقطع أدناه على صفحتي الأدبية في الفيس بوك : (عمودي اليومي في الزمان اللندنية عنوانه مديح إلى شكسبير ..مديح إلى وحيدة خليل ، فالجمع بين شاعر إنكليزي ومطربة ريفية عراقية صعب ، لكن في موازين الحلم والفقه الذي امتلته صوت وحيدة خليل عندما تغني :مالي صحت يم أحأ ..جاوين أهلته ...! يساوي عندي معضلة هاملت ألف مرة) .

جاءتني عدة رسائل بين مستغرب من هذه المقارنة التي يعتقدونها ظالمة في حق شاعر ومسرحي وأديب أممي وبين مطربة شهرتها لقد لا تتعدى مساحة بلادها وهي ولم تدخل يوما في مدرسة وبالكاد عرفت التوقيع وكتابة اسمها ، ورسائل أخرى تقول أنني أصبت في المقارنة ، فالمدح يتساوى بنفس مفايق الذهب بين شكسبير وبين وحيدة خليل ، وحنما من أصاب المقال في سهم شوق ورضا هم من العراقيين ، والذين استغربوا هم قراء ليسوا عراقيين ، هذا يعني إن وحيدة خليل بالنسبة لريدها من أبناء وطنها مثلت لهم الصفاء الراقي والإبداع الذي يمنحهم رؤية التحليق والنشوة أكثر مما تفعله مسرحيات وسوناتات شكسبير ، فكان المديح لها مؤثرا في القلب ويمتلك هبة الاستحقاق عندما يكون جنبا إلى جنب مع المديح لشكسبير .!

هذه الأسطورة التي صنعت رائحة المكان وسحره من خلال حنجرتها لن تستحق سوى المديح عندما ظلت ولأجيال تصنع بهجتها بموهبتها الفطرية الرائعة ، ولتمنح ذاكرة المكان وثقافته طعمه المميز وتصبح المحفز القوي للكثير من الإبداعات في شتى المذاهب (الغناء ، الشعر ، القصة ، الرسم)...!

وحيدة خليل ذهبت وبقي صوتها ، شكسبير ذهب وبقي تراثه الأدبي ، هو بالنسبة للإنكليز رائحة الإلهام والفخر ، وحنما وحيدة خليل بالنسبة لنا نحن أبناء الدمة والحروب والأمل رائحة للإلهام والفخر والإعجاب...!

(شكسبير صنع معجزة هاملت ووحيدة خليل صنعت معجزة الغناء الريفي)

العراق الذي صنعتة الدموع قبل السيوف ، والقيارات قبل الأُمْنِيَات ، والجراح قبل النوح ، العراق الذي لم يزل وإلى الأزل سره في بحة صوته ، وحلمه في غموض ليله ، بلد صنعتة الأساطير لسبب واحد أن واقعه أكثر غموضا كواييسه ، فكان على مبدعيه ومفجعيه وكهنته وعمال أطيانه أن يؤسسوه من خلال الأساطير ، أبقى له ليكون وطننا يميزه خلود أغانيه ودموع فقرائه واثواب أمهاته المنشقة من الوسط حزنا على كوارث أحلامه التي خير شاهدا لها تلك النعاوي الملونة ببجتها الشبهية والسريالية من احترق اور وتحول بابل إلى خرائب ونيونوى إلى أطلال وحتى غناء الدبابات وأسلاك الكهرباء العاطلة ونفق اسماك الفرات ودجلة بسبب الملح والحر والصيد بالرمانات اليدوية...!

وحيدة خليل (رحمها الله) مواليد ١٩١٤ . ابتدأت ملامية في نواح عاشوراء ، وانتهت صاحبة شجن سقموني يرق له أي جنوب وليد سعف النخيل ونعاس بوابات المعابد وشهوة القصب المتمد في فضاء الزمن مثل قضبان ذكورة الجنود الذين تطول حروبهم الخالدة شهورا في ساحات الوغى بعيدا عن العشيقات ومرابع الصبا وبيادر القمح .

هذا الصوت أوغل في الضمير الوطني والعاطفي والتاريخي لدى العراقيين كما أوغل شكسبير بمسرح وسونيئاته في ذاكرة الإنكليز ، فالشاعر الإنكليزي اطرب الذاكرة الثقافية بحسن روحي لوجدان قلق يبحث عن الخلاص في رؤى شتى من عليل وهاملت وحتى مكابدات الملك لير ،

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

